الجزء ٧ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٣٠ م الموافق صفر سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة الخامسة عشرة

نبوة المتنبي (١)

— ٧ —

مر بكم ان ابا الطيب لما ترعرع وشعر و برع توفي ابوه ، فالحسين فارق الدنيا وابنه احمد في عنفوان صبوته ، فلنراقب اباالطيب في اول حركة من حركاته بعد ان تم له ماتم من طلب الادب واللغة في البادية والحضر ، فلنتقص اخبار ذلك الامر العظيم الذي ذهب بحقيقة اسمه وجعل له اسماً آخر خالداً على وجه الدهر وهو المتنبيء ، لماذا لقبوه بالمتنبيء هل تنبأ ابوالطيب وكم كان عمره في دعوى النبوءة ، ما هي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة ، هل نسبوا اليه اموراً غير دعوى النبوة ، هل نسبوا اليه انهم بالخروج او انه ادعى انه علوي ، او انه ادعى غير ذلك ، ما هي معجزاته ، ما هو قرآنه ، ما هي اقواله في نبوته وقرآنه ، هل تهيأ له شيء من اسباب التأثير في عقول الاعراب ، هل صرح في شعره بدعواه ، هل وطّن نفسه للموت وهو في السجن على نحو اكابر الرجال الذين لا يبالون بما يصيبهم في سبيل مذاهبهم ام اوهن رجليه ثقل الحديد ، فاستغاث واستصرخ .

لماذا لقبوه بالمتنبيء ؟

حكى ابو الفتح عثمان بن جني وابن جني هذا صحب ابا الطيب دهراً طويلاً قال :

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سمعت ابا الطيب يقول انما لقبت بالمتنبيء لقولي :

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بارض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود

فتشبهه بصالح و بالمسيح مدعاة الى تلقيبه بالمتنبيء .

هل تنبأ المتنبيء ، و كم كان عمره لما تنبأ ، وماهي اقوال رجال التاريخ في هذه النبوة .

قال ابو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

قدم ابو الطيب المتنبيء اللاذقية في سنة عشرين وثلاثمائة ، (كان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فاكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته ، فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتنماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت له : والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير فقال : ويحك اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل ، فظننت انه يهزل ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له : ما تقول : فقال انا نبي مرسل ، فقلت له : مرسل الى من ، قال : الى هذه الامة الضالة قلت : تفعل ماذا ، قال: املاء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل لمن اطاع واتى ، وضرب الاعناق لمن عصى وابى فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف منه عليك ان يظهر وعذلته على ذلك فقال بديهاً :

ابا عبد الآله معاذ اني ... خفي عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم ما طلبي وانا ... نخاطر فيه بالمهج الجسام
امثلي تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملافاة الحمام
ولو برز الزمان الي شخصاً ... لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيبتها الليالي ... ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني ... فويل في التيقظ والمنام

هذا قول ابي عبد الله معاذ اللاذقي في نبوة المتنبيء فلنسمع قول كافور الاخشيدي وانتم تعلمون ان ابا الطيب لما غضب على سيف الدولة قصد كافوراً فوعده كافور بولاية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعض اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، اما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم .

اما ابو العلاء المعري ، فقد ذكر عنه الاستاذ عباس محمود العقاد ، في مقال له في « البلاغ » عنوانه هل تنبأ المتنبيء انه قد شك في دعوى النبوة وبنى مقاله على هذا الشك ، فهو يعتقد ان قصة النبوة رواها عن ابي الطيب جماعة من اهل عصره اكثرهم من خصومه وحساده او من ملفقي الأحاديث .

وقد رجعت الى كلام ابي العلاء فلم أجد فيه ما يدل على انه كان يشك في دعوى النبوة فهو قد صدّق الدعوى وروى احاديث حدثه بها الثقة عن معجزات المتنبي ، وهذا كلام المعري :

« وحدثت انه (اي المتنبيء) كان اذا سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة اي المرتفع من الارض وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وانما هي مقادير يديرها في العلو مدبر ظفر بها من وفق ، ولا يراع بالمجتهد ان يخفق ، وقد دلت اشياء في ديوانه انه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس متدلهاً ، فمن ذلك قوله :

(ولا قابلاً الا لخالقه حكما)

وقوله :

ما أقدر الله ان يخزي بريته ولا يصدق قوماً في الذي زعموا

واذا رجع الى الحقائق فنطق اللسان لا ينبيء عن اعتقاد الانسان ، لان العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل ان يظهر الرجل بالقول تديناً ، وانما يجعل ذلك تزينا ، يريد ان يصل به الى ثناء او غرض من اغراض الخالبة ام الفناء ، ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون » .

فمن هذا يتبين لكم ان ابا العلاء لم يلحقه الشك في الدعوى التي ادعاها المتنبي حتى انه يبّن علة هذه الدعوى فأشار الى طمع ابي الطيب في شيء قد طمع فيه من هو دونه ، وستسمعون أحاديث معجزات ابي الطيب التي حدث بها ابو العلاء ، واذا شك المعري في شيء فانه قد شك في صدق النبوة لا في صدق دعوى هذه النبوة والفرق بين الشكين ظاهر . —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الذين تكلموا على دعوى النبوة ابو منصور الثعالبي فقد قال :
و يحكى انه تنبأ في صباه وفتن شرذمة بقوة ادبه وحسن كلامه :

ومنهم الانباري صاحب الطبقات فقد قال :
قال ابو علي بن حامد : سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب المتنبيء تنبأ ببادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الإخشيدية فقاتله واسره ، وشرّد من كان اجتمع عليه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستنابه ، وكتب وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه .

* * *

هذه أقوال من تكلموا على دعوى نبوة المتنبيء على ان بعضهم نسبوا الى المتنبيء اموراً غير ذلك مثل طمعه في الملك وادعاءه العلوية وغير ذلك مما لم يذكروه ، فالثعالبي قبل ان يتكلم على دعوى النبوة وقد سمعتم كلامه ، تكلم على طلب الملك فقال :
وبلغ من كبر نفسه ، وبُعد همته ، ان دعا الى بيعته قوماً من رائشي نبله على الحداثة من سنه ، والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتم له امر دعوته ، تأدى خبره الى والي البلدة ورُفع اليه ما هم به من الخروج فأمر بحبسه وتقييده .

وابن خلكان روى دعوى نبوته فقال :
وانما قيل له المتنبيء لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استنابه وأطلقه ثم قال بعد هذا :
وقيل غير ذلك ، وهذا أصح ، فما الذي قيل غير ذلك ؟ فلم يبينه ابن خلكان الى ان قال :
وقيل انه قال : انا اول من تنبأ بالشعر .—
وابن الانباري تكلم على دعوى النبوة ، وقد ذكرت لكم كلامه وأضاف اليه ما يلي :
وقال القاضي ابوالحسن بن ام شيبان الهاشمي الكوفي ، وكان ابوالطيب لما خرج الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلب وأقام فيهم ، وادعى انه علوي ، ثم ادعى النبـوة ، ثم عاد يدعي انه علوي الى ان اشهد عليه في الشام بالتوبة واطلق .

* * *

فالذي يستخلص من كل ما تقدمت الاشارة اليه ان الاقوال في أمر المتنبئ متباينة فمنهم من قال انه ادعى النبوة ، ومنهم من قال انه هم بالخروج ، ومنهم من قال انه ادعى انه علوي ومنهم من قال غير ذلك .

ولا بأس بان المح الى طائفة من معجزاته وقرآنه ما دام بعض رجال التاريخ قد تكلموا على نبوته . —

أما المعجزات فقد ذكر منهـا ابو عبد الله معـاذ بن اسمعيل اللاذقي حبس المطر ، فمن شاء فليقرأ خبرها في الصبح المنبئ . وذكر ابو العلاء المعري غير حبس المطر فقال : «وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا له وقد تبينوا دعواه : هاهنا ناقة صعبة فان قدرت على ركوبها اقررنا انك مرسل . وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتخيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتنكرت برهة ثم سكن نفارها ومشت مشي المسحة وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليهـا فعجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية وان بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً وان ابا الطيب نفل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته وقال للمجروح لا تحلها في يومك وعد له اياماً وليالي . وان ذلك الكاتب قبل منه فبرئ الجرح فصاروا يعتقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد و يقولون هو كمحيي الاموات .

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل انه اراد الانتقال من موضع الى موضع فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ولقيهما كلب الح عليهما ينبح فتنحنح ثم انصرف فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات فلما عاد الرجل الفى الامر على ما ذكر ولا يمتنع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً والقاه له وهو يخفي عن صاحبه مافعل ، والخريق سم الكلام . »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واما القرآن فها انا اتلو عليكم منه ما دونه صاحب الطبقات نقلاً عن ابي علي بن حامد قال ابو علي :

« وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم انه قرآن أنزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي اولها في حفظي وهو : والنجم السيار ، والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار . امض على سننك . واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيل قال : وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا . »

سمعنا هذا كله فلنسمع ما نقل لنا عن المتنبيء في هذا القرآن وفي هذه النبوة فهل اثبت على نفسه قرآنه ونبوته .

قال ابو علي بن حامد : وكان المتنبيء في مجلس سيف الدولة اذا ذكر له قرآنه هذا وامثاله مما كان يحكى عنه انكره وجحده ، وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا ان اخي جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبيء لان معنى المتنبيء كاذب ومن رضي ان يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على المنع .

قال التنوخي : قال لي ابي : فاما انا فسألته بالاهواز عن معنى المتنبيء لأني اردت ان أسمع منه هل تنبأ او لا فجاوبني بجواب مغالط وقال : ان هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت ان استقصي عليه فامسكت .

وقال له بعض الاكابر في مدينة السلام : خبرني من اثق به انك قلت انك نبي فقال : الذي قلته : انا احمد النبي .

هذه جملة ما يتعلق من الاخبار بدعوى نبوة المتنبي ودعوى علويته وهمه بالخروج وغير ذلك يحار الانسان في حقيقة الدعوى التي ثبتت عليه . وانا لنرى ابن جني وهو من اصحاب ابي الطيب يبين لنا سبب تلقيب احمد بالمتنبي . ونرى ابا عبدالله معاذ ابن اسمعيل اللاذقي يروي لنا قدوم المتنبي اللاذقية وادعاءه النبوة . ونرى كافور الإخشيدي يصدق دعوى نبوة المتنبي . وهؤلاء كلهم من اهل عصر المتنبي . وانا لنرى ابا العلاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعري يحدثنا عن ثقة باحاديث معجزات المتنبي وما بينه وبين ابي الطيب الا القليل من السنين . ونرى الانباري يتكلم في طبقاته على دعوى النبوة . وكذلك الثعالبي وكذلك ابن خلكان اذ نرى الثعالبي نفسه يتكلم على هم المتنبيء بالخروج على السلطان . ونرى الانباري نفسه يتكلم على ادعاء المتنبيء العلوية . ونرى ابن خلكان يتكلم على امر آخر غير النبوة ، وغير العلوية و يرجحه عليهما ولا يذكره . ونري المتنبيء نفسه اذا ذكرت له النبوة والقرآن ينكرهما مرة و يغالط مرة اخرى و يقول : ان هذا شيء كان في الحداثة فالانسان كما قلت لكم يحار في هذه الامور كلها وعلى الخصوص فان المتنبيء لم يصرح في شعره بالسبب الذي من اجله حبس وانما طلب الى الوالي ان لا يقبل زور الكلام ، وان لا يسمع من الكاشحين وان يفرق بين دعوى الارادة ودعوى الفعل :

فمالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبأن بعجل اليهود
وكن فارقا بين دعوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيد

فقد يجوز ان ابا الطيب اراد امراً من الامور ولما همّ بهذا الامر اخفق فما هو هذا الامر ، فالذي يقع في خلدي ان الرجل قد شغله حب الملك قبل اعتقاله اي قبل ان تشيع دعوى من الدعاري المذكورة وقصيدته التي قالها في صباه والتي اولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم
قد امتلأت من امانيه البعيدة في الملك .

أيملك الملك والاسياف ظامئة والطير جائعة لحم على وضم
من لورآني ماء مات من ظمأ ولو مثلت له في النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا ومن عصى من ملوك العرب والعجم
فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما ارضي لها بهم

وقد شغلته هذه الاماني كل عمره ، فلا يبالي بالطرق التي من نحوها يأتيه هذا الملك سواء عليه أجاءه من طريق النبوة ، ام من طريق العلوية ام من طريق آخر ، فقد يجوز ان نفسه وسوست له ان يجعل النبوة سبيلاً الى الملك ، وعلى الخصوص بعد ان اجتمع له الشيء الكثير من اسباب التأثير في عقول الاعراب من جملتها خبرته بالارض وفصاحته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى حكوا عنه انه مما كان يمخرق به على اهل البادية أنه كان مشاءً ، قوياً على السير يسير سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحال العرب بها وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية وبينهما مسيرة اربعة ايام فيأتي ماء فيغسل يديه ورجليه ووجهه ثم يأتي اهل تلك الحلة فيخبرهم عما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان الارض تطوى له ، افلا يجوز ان نفسه حدثته بطلب الملك بعد ان تهيأ له هذا كله وتهيأ له شيء اعظم من هذا وهو حسن البيان ، وقد شهدوا له بفصاحته وأشار اليها في شعره فقال :

وكلمة في طريق خفت اعربها فيهتدى لي فلم اقدر على اللحن

فالرجل مطبوع على الفصاحة والاعراب ، كل هذا من الامور التي توطيء له السبيل الى الاستيلاء على عقول الاعراب ، ولكنه ينقصه قوة العقيدة فلم يؤثر عنه انه كان متيناً في عقيدته ، شديداً في دينه ، وقد اوضح عن ضعف العقيدة ، ورقة الدين في كثير من شعره منه قوله :

تتقاصر الافلاك عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله : لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولاً

وقوله : او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وقوله : يا من نلوذ من الزمان بظله ابداً ونطرد باسمه ابليسا

الى كثير من اشباه هذه الابيات ، فلما هم بما اراد لم يتم له شيء من مراده ولعل الاعراب انفسهم الذين صحبهم في البادية هم الذين وشوا به .

ومدفعين بسبروت صحبتهم عارين من حلل كاسين من درن

خراب بادية غرثى بطونهم مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

يستخبرون فلا اعطيهم خبري وما يطيش لهم سهم من الظنن

وكيف كان السبب الذي من اجله حبس فان المتنبيء متن بعض المتانة في حبسه فقال :

كن ايها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف

لو كان سكناي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنه بعد ان قال هذين البيتين وهما في متانة الاخلاق والصبر على المكاره في سبيل مذهب من المذاهب او معتقد من المعتقدات خانه الصبر فضعف عزمه فقال للوالي :

امالك رقي ومن شأنه هبات الجبين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما يراني البلاء واوهن رجلي ثقل الحديد

فاين نوطين النفس للموت من هذه الاستغاثة .

دمشق : في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net